الإسلام والشعر

الشعر كلام منظوم مقيد بوزن وقافية يقصد به الشعر، فيعبر عن وجدان قائله حقيقة أو مجازًا ويوافق عرف العربي في الشكل والمعنى.

واشترط فيه الوزن ليكون شعرًا، وجعلت له قافية ليخالف كلام العرب المنثور الذي قد يقع على وزن الشعر، ولا يقصد به شعرًا.

وتسمى المنظومات التي نظمت في علم من العلوم شعرًا مجازًا، لمشابهتها وليست بشعر، لأنها لا تعبر عن وجدان قائلها بل تعبر عن علم صيغ نظمًا ومنها ألفية بن مالك في النحو والشاطبية في القراءات وشعر الملاحم والسير، فليس الكلام المنظوم بشعر، فلم يقصد به الشعر أو التعبير عن شعور وجداني.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ سأل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: "أخبرني ما الشعر ياعبد الله؟ قال: شيء اختلج في ثم أقول، يريد أنه يشعر بشعور في نفسه، فيزوّر كلامًا ويقوله[1].

فيشترط في الشعر: أن يكون تعبيرًا عن تجربة وجدانه وحالتة النفسيه، وحده القصد إليه، فلا يعد ما وقع موزونًا اتفاقا شعرًا، وأصله من دقّ وشعرت بكذا علمت علمًا دقيقًا، وهو من الشعور[2].

وقد جاء ذكر الشعر والشعراء في القرآن الكريم والحديث الشريف، فقد جاء الشعر في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٩].

وجاء ذكر الشاعر مفردًا في أربعة مواضع هي: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ

---

(1) ارجع إلى طبقات فحول الشعراء جـ١/ ٢٢٥، والعقد الفريد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٧٨/٥، ووثق الطبراني رجاله، وقال: ورجاله ثقاة، إلا أن مدرك بن عمارة لم يدرك بن رواحة.

(2) **الرجز** نوع من الشعر عند الأكثر وبعضهم رأى أنه ليس بشعر، فلم يعتدوا بها ارتجز به النبي ﷺ شعرًا، وسمى رجزًا لتقارب أجزائه واضطراب اللسان به.

والحداء: ما يحدو به حادي الإبل من غناء مخصوص قصير وله إيقاع عال ليطرب به الإبل، فتسرع، والحداء يكون غالبًا بالرجز، وقد يكون بغيره من الشعر، ويلتحق بالحداء الحجيج المشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبةو غيرها من المشاهد. ونظيره ما يحرّض أهل الجهاد على القتال مما يرتجزون به لدفع الهمة، ومنه غناء المرأة لتسكين الولد في المهد، وهي أغاني قصيرة ذات إيقاع سريع – ارجع إلى فتح الباري، لابن حجر، دار التقوى للتراث – جـ١٠/٦١٥.

بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء:٥]، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور:٣٠]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[الحاقة:٤١].

وجاء اللفظ جمعًا في وضع واحد، قوله تعالى:﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[الشعراء:٢٢٤].

وهذه الآيات لا تحمل على معنى تحريم الشعر مطلقًا، بل تعني نفي الشعر عن النبي ﷺ، فإنه ليس بشاعر، وليس له أن يكون شاعرا فلا يملك أداة الشعر، فلم يفطر عليه وما يقول وحي من عند الله تعالى. والآية التي جاء فيها ذكر الشعراء تتعرض لفريق منهم وهم أصحاب الغواية ممن يكذبون ويفحشون في القول ويهتكون الأعراض.

وقد اتهم المشركون النبي ﷺ بالشعر زورا فبرأه الله من الشعر، وما يتلوه من القرآن ليس بشعر فآيات القرآن الكريم لا تعارض الشعر في الأوزان وأعاريضها وضروبها، ولا في القوافي وعللها. وما جاء في القرآن الكريم مساوقًا الوزن ليس بشعر؛ لأنه لا يتجاوز آية أو بعضها، وهذا يقع في كلام الناس فقد يقع بعضه على بعض، ولا يعدان كلامًا واحدًا وإن اتفقا لفظًا ووزنًا، فهو توارد خواطر وقع فيهما معًا.

وقد وقعت بعض آيات القرآن على بعض أوزان الشعر فشاكلته ولكن غالبها أشطار أبيات والقليل منها وقع وزن بيت تام.

فمن التام قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:١١٢]. رجز: مستفعلن.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[النمل:٢٣]. الكامل: متفاعلن، ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾[التحريم:٥]، الرمز: فاعلاتن، ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[الذاريات:٢٦]. وافر: مفاعلتن.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[الطور:٤٩]. الكامل: متفاعلن، وقوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾[سبأ:١٣]. الرمز: فعلاتن، فاعلاتن، وقوله تعالى: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[التوبة:١٤] وغيرها. الرجز: مستفعلن.

وما جاء مشطورًا كثير جدًا في القرآن الكريم[1].

قال الخليل بن أحمد صاحب العين: كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام، ولكن كان لا يتأتى له، فإن قلت فقوله (يوم حنين): "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"، وقوله ﷺ: "هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت؟". وقد نسب إلى النبي ﷺ، فلا يعرف أحد بهما[2].

قال الخليل: "ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة، ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه أن جاء موزونًا، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعرا، ولا يخطر ببال المتكلم أنها شعر"[3].

وقد ذكر ابن عبد ربه البيتين السابقين ثم قال: فهذا من المنثور الذي يوافق المنظوم وإن لم يتعمد به قائله المنظوم. ومثل هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوزن، مثل قول عبد مملوك لمواليه: اذهبوا بي إلى الطبيب، وقوله قد اكتوى.

ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يراد به الشعر. ولا يسمى قوله النبي ﷺ وإن كان موزونًا شعرًا، لأنه لا يراد به الشعر ولو تطلعت في رسائل الناس وكلامهم لوجدت فيه ما يحتمل الوزن كثيرا ولا يسمى شعرًا، ومن ذلك قول القائل: من يشتري باذنجان. تقطيعه: مُستَفعلن مفعولات. وهذا كثير[4].

وقد جمع بن حجر آراء العلماء فيما ارتجز به النبي ﷺ ولم ينسب لأحد غيره : بعضهم رأى أنه رجز وليس من أقسام الشعر وهذا مردود وبعضهم يرى أن ما نسب إليه كلمات يسيرة ولا تسمى شعرًا وبعضهم يرى أنه خرج موزونًا ولم يقصد به الشعر.

ورأى ابن حجر أن هذا أعدل الأجوبة[5]، وقد سبق إلى هذا الرأي الخليل بن أحمد رحمه

---

(1) فتح الباري جـ٦١٩/١٠، وقد جمع ابن حجر آيات كثيرة وقعت فى وزن الشعر ومشاكلته، وذكر بعضًا منها ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد جـ٢٨٣/٥

(2) الكشاف جـ٦٦٣/٣ وارجع إلى صحيح البخاري باب غزوة الفتح، وارجع إلى: العقد الفريد ٢٨٢/٥.
قال البراء بن عازب رضي الله عنه: لما كان يوم حنين رأيت النبي ﷺ والعباس رضي الله عنه، وقد جاء البيت الأول في باب غزوة الفتح، بصحيح البخاري، وجاء الثاني في كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر.

(3) المصدر السابق.

(4) العِقد الفريد ٢٨٣/٥

(5) فتح الباري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار التقوى ٦٣٠/٧

الله. ولم يقل النبيﷺ شعرًا ولم يروه عن أحد،بل كان يستنشد أصحابه الشعر، فيذكر شطر بيت أو وجزءا منه يستكمله ممن يحفظه، فينشده ما أراد، ولم يرد في حديث صحيح أنه كان يحفظ شعر شاعر أو قصيدة كاملة، ولكنه كان يستحسن بعض ما يسمعه من غيره ويستملحه.

والنبي ﷺ لم يكن محترف الشعر، ولا من رجاله، وهو في ذلك مثل عامة أقرانه ينشدون الشعر في مشهد يستدعيه أو يرتجزونه في شدة أو حرب أو سفر فيتشاغلون به عما هم يه، ولا يقال لهم شعراء ولا يدعون ذلك، فقد كان الشعر منهم قريبا يأتيهم أنى طلبوه.

وقد وقف صناديد قريش في وجه الدعوة، وشنوا حربًا واسعة عليها، ولم تك هذه الحرب على محمد ﷺ إنكارًا لنبوته، فقد كان بعضهم يعلم أنه نبي وأن القرآن الكريم ليس من قول البشر، لكنهم جحدوا ذلك كبرا وعنجهية وحسدًا، فطعنوا في عقله، فقالوا: مجنون وشككوا في سلامته فقالوا مسّته الشياطين والجان، وطعنوا في الوحي، فقالوا: تتنزل عليه الشياطين والجان فيوحون إليه بما يقول أو هو من فعل السحر أو تكهن به، افتراه فألفه من عنده.

وطعنوا فيما يقول فقالوا: هو شاعر وما يقوله شعر، وهم يعلمون أنه ليس بشيء مما يرمونه به.

وكان لقريش مواسم تجتمع إليهم العرب فيها، ومنها سوق بمكة وسوق عِكاظ قريبًا من مكة، وموسم الحج، وكان النبي ﷺ يخرج إلى العرب فيهم فيحدثهم عن دينه ويدعوهم إليه، ليجد لنفسه مكانًا خارج مكة وأتباعًا ينصرونه، وقد اقترب موسم الحج، وكان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل فيه، وقد فشى أمره في العرب، وحرص بعضهم على لقائه فضولاً أو لعلمه به، وقد تشاور نفر من قريش في أمر النبي ﷺ، فأرادوا أن يرموه بأمر في موسم الحج لئلا يتبعه أحد، فكان مما رموه به أنه كاهن، فقال لهم الوليد بن المغيرة، وكان أسنهم: لا – والله – ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، فقالوا: نقول إنه شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، وقد رموه بالسحر، والجنون[1].

قال تعالى :﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا

(1) السيرة جـ١/٢٨٣

﴿أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾[الأنبياء:٥]. لقد ضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد، فقولهم الثاني أفسد الأول، والثالث أفسد الثاني، والرابع أفسد الثالث، فزعمهم فيه فاسد(١).

وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ شاعر ليصرفوا الناس عنه. وقيل: إن القائل عقبة بن أبي مُعَيط،فقال الله تعالى:﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[يس:٦٩] أي: ما علمناه بتعليم القرآن الشعر، فالقرآن الكريم ليس شعرًا فيتعلم منه قول الشعر، بل هو ذكر من الله واضح ومبين فليس من الشعر، فالشعر كلام موزون مقفي يدل على معنى، وليس القرآن الكريم على حال الشعر، وما ينبغي للنبي ﷺ أن يكون شاعرًا، فما يحق له، ولن يستطيع قرض الشعر ولن يتأتى له ولن يتسهل؛ لأن الله تعالى حال بينه وبين الشعر فلا يقدر عليه، فلم يجعله شاعرا، وجعله أُميًّا لا يكتب ولا يقرأ كتابا، لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض.

فالقرآن الكريم ليس من جنس الشعر، وإن وقع فيه لفظ موزون فلا يعد شعرا، فمثل ذلك يقع في كلام الناس؛ لأنه ليس مقصودا، بل هو لفظ شاكل وزنًا، ولا يتخطاه إلى غيره.

وأكثر ما رموه به الشعر لأثر الشعراء فيهم، ومنزلتهم من قبائلهم وتلاعبهم بالقول، وميلهم إلى العبث، والمجون واللهو، وتمردهم على قبائلهم وخروجهم على العرف والتقاليد وقيم الحياة الخلقية واستخفافهم بالأمور، وشذوذ بعضهم.

وكان بعض الشعراء يعبر عن خياله وتجربته الشعر بمس الجن وفعل الشياطين، ويصنع الأساطير، فيدعي أنه يتصل بالجن، ويروي عنهم الشعر ويحدث ويزعم أن لهم قبائل، وأودية يسكنونها مثل وادي "عبقر" ووادي "وبار". فالجان يلهمون الشعراء ويأتونهم بالأساطير ويمنحونهم الألفاظ لتكون حال معانيهم، والبيئة الجاهلية كانت تتقبل ذلك وتفتن به لضعف معارفها وصفاء قريحتها واتساع مخيلتها.

والشعراء كانوا يضعون أنفسهم موضع الكهان، ليرهبوا الناس بقولهم، وليجعلوا له أثرًا مروعًا فيهم، فيتخرصون الأحاديث، ويدعون ما ليس لهم ويخبرون عن الغيب، ويقولون ما لا يفعلون، ويتكلفون في القول ويسرفون فيه، وكان لهذا الأسلوب أثره، ومن ثم كان الكاهن يعبر عن تكهنه بالشعر والسجع، وكان قولهم لا يخلو من خرافة أو تخرص.

---

(1) الكشاف جـ٢/١٧١

فقد كان الشعر مخلوطًا بالخرافات والأكاذيب ، وينسب ذلك إلى الجان ، فارتبط الشعر بالكهانة والجن، والمجتمعات البدائية يسيطر عليها الدجل والشعوذة والخرافة، وكان الشعراء يتبارون في مخاطبة هذه العقول، ويلجون إلى وجدان المتلقي بالإفراط في المعنى و الخيال والإثارة، ليجد سرعة الاستجابة ويترك أثرًا غائرًا في وجدانه يبقى طويلاً.

ولم يك المتلقي ساذجًا في كل أمره، فقد فطن إلى أكاذيب الشعراء وتكلفهم حينًا، وأن الشياطين لا تنزل عليهم في كل حال، ومن ثم طعنوا في نبوة النبي ﷺ، وقالوا شاعر تكذيبًا لحديثه وطعنًا في دعوته ونسبها إلى كلام البشر الملفق والمصنوع.

وربط المشركون بينه وبين السحرة والكهنة والشعراء ليبطلوا دعوته، وليتهموه بالتقول على الله تعالى، وليقطعوا صلته بوحي السماء، فزعموا أنه من عنده وأنه من شاكلة كلام الكهان والسحرة والشعراء.

ولم يك هذا الذم تقليلاً من شأن الشعر وازدراء به بل كان من قبيل نفي الوحي عنه وجعله من جنس قول الشعراء، وما يتقولونه من حديث.

والشعر لم يكن مذمومًا فيترك، بل كان العرب يعرفون أنه من قريحة الشاعر، وقوته في جودته، فنسبوا ما يقوله النبي ﷺ إليه، لينفوا عنه صفة الوحي وأنه منزل من عند الله، فالكهنة يتحدثون بما يلقيه إليهم تابعهم من الجان، وتوحي الشياطين بالشعر إلى الشعراء وقد صدقوا الشعراء بادعائهم أن الشياطين تتنزل عليهم ليجعلوا شعرهم فوق كلامهم، وأن أثره واقع بهم. وقد رد الله تعالى عن نبيه ﷺ فقال: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ(٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٢٢٢)**﴾[الشعراء]. ومحمد ﷺ ليس بكاهن ولا شاعر، فليس بأفاك وليس بأثيم.

وهذا الطعن في نبوته، يوحي من بعيد أن قوله كان فوق قولهم، وأنهم عجزوا عن مشاكلته أو محاكاته وأنهم كان يسحرون ببيانه ومضمونه، فتخبطوا في الطعن فيه فادعوه ساحرًا وكاهنًا وشاعرًا ومجنونًا عجزًا، ولججًا، وفسدت كل هذه الادعاءات؛ لأنهم كانوا يخفقون في كل سجال ومباراة، وبعضهم اعترف أنه ليس من قول البشر، ولكنهم جحدوه وكفروا به كبرًا.

وقد جعلوا أثر القرآن الكريم نوع أثر الشعر وسحر بيانه بيد أنه يعلو ولا يعلى عليه، وأن محمدًا ﷺ قد أحسن صنعته، فأحكم لفظه، ونمّق نسجه ووشاه وسبكه، وأعلى بيانه، واصطفى مضمونه وحلاّه وجمله، فأغرب في خبره، ورّهب ورغّب، ووعد وتوّعد.

ولكنهم أعربوا فيما بينهم أنه ليس من قول البشر وأنه يعلو ولا يعلى عليه ، وقد عبر القرآن الكريم عن شأنهم الهش ولجاجهم واختلاطهم فيه.

حكم قول الشعر شرعاً

جاء في القرآن آيات ذكرت الشعر في بيان طعن المشركين في القرآن الكريم، فزعموا أنه من الشعر، وجاء في بعض الآيات ذكر الشاعر في بيان رمي المشركين النبيﷺ بالشعر، وهذه الآيات لا تحمل على إباحة الشعر أو تحريمه، بل جاءت في سياق طعن المشركين في القرآن الكريم ونبوة النبيﷺ.

والشعر فن من القول منه الحسن ومنه القبيح. وقد جاء ذم بعض الشعر أو أنواع منه على ما فهم من تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[الشعراء:٢٢٤-٢٢٧].

وقد حمل بعد العلماء – وهم قلة – الآيات على الكراهة أو ذم الشعر، واستدلوا بنص حديث: "لأن يمتلئ جوف الرجل قيحًا يريه خير من أن يمتلئ شعرًا"[1]. وظاهر النص يوحي بالتحريم، ولكن ما عليه معظم العلماء إباحة قول الشعر، واستدلوا بأحاديث كثيرة صحيحة تجوّز الشعر وأن النبيﷺ استمع إليه واستنشد الشعراء، واستحسن بعضه وحملوا ما جاء في الآية على المستقبح منه مما فيه حرمه، وأن ما جاء في الحديث السابق على ما ذمته الآية من قبيح القول. جاء فى الحديث: "حسن الشعر كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام". وروى: "الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام".[2]

وذكرت الآية أن الشعراء يهيمون في كل وجه من القول، وقال "يهيمون" والهائم يضرب في كل وجه دون قصد، كالهائم على وجهه، والمراد أن الشاعر يخوض في كل لغو، وقد ذمتهم الآية، لأنهم يهيمون في كل معنى دون هدى، فيتكلفون ويكذبون، ويسرفون في القول. وليس الشعر بمذموم كله،فما يتحصل من كلام العلماء أن الشعر الذي يخلو من الهجاء، والإغراق في التكلف والكذب جائز، فلا بأس بالشعر والحداء أو الغناء ما

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخارى، والدارقطنى، والطبرانى.